

نقف في بيروت التي نعرفها ، ونرى فندق المتوسط يتحول الى «غابة اسمنت مسلح» ، غابة تكتظ بالرجال والبنادق ، ترتفع فوق القصف ، تنتقم من نفسها الى درجة العري ، تتوجع . بيروت الفندق ، الشوارع ، المطاعم ، المعارض ، المجلات ، دور النشر ، تنهار وتولد غابة الاسمنت التي تقاتل كما لم يقاتل احد ، تنتصر كما لم ينتصر احد ، وتموت كما لم يموت احد . الحرب الاهلية هي مبدئيا بداية ، وحتى تكون بداية يجب ان تكون نهاية . انها نهاية على كل حال ، نهاية : لانها حتى لو اكتفت بالوصول الى ابواب السماء دون كسرهما ، لن تسمح للماضي بالعودة الا بوصفه الماضي ، أي بوصفه تكرارا مبتذلا لما كان وما لن يكون كما كان .

- ٢

كانت اشكالية انهيار الكيان اللبناني اشكالية خاصة بنيته . انهيار في حرب أهلية . كل حرب أهلية في التاريخ هي على المستوى العملي انقسام في السكان وقاتل شامل على السلطة أو على ادارة الحرب الوطنية . وهذا ما حصل في لبنان . انقسام السكان الى فئات تتقاتل . غير ان اشكالية الانقسام اخذت في لبنان طابعا خاصا : الطائفية . انقسام السكان الى طوائف متقاتلة . أي ان الانتماء الطائفي هو الذي حدد عند اندلاع شرارة الحرب الشكل العام للانتماء . و « الاقتتال الطائفي » هو شيء متوحش ، همجي ، غير عادل ، نستطيع ان نعود الى جميع التعابير الاخلاقية التي في القاموس ونكتبها وتكون صحيحة . غير ان هذا الاقتتال الطائفي لم يكن لان اللبنانيين ما زالوا قبائل تعيش خارج دائرة الرأسمالية . الانقسام الطائفي يترنح ، لقد استنفد تماما مثل سلطة الرأسمالية للوسيطه التي استنفدت . سلطة دولة ممبركة لا اساس لها سوى ارادة المستعمر ورضوخ الطرف الاخر لهذه الارادة عندما لم يكن يملك المقومات او القوى الحقيقية التي تستطيع رفضها . الرأسمالية اللبنانية هي رأسمالية متوحشة تقوم على الوساطة والكومسيون والسمسرة والشعوذة والنصب والاحتيال والسرقة . رأسمالية تراكم تجاري هو وليد الشطارة الغبية القائمة على قهر العرب واذلالهم وسرقتهم . انتفخت هذه الرأسمالية كالجثة ، لذلك عندما وجدت انها مهددة مثلت بالجنث ، قتلت بوحشية نادرة ، سحقت ، كانت في مأزقها التاريخي لا تجد المخرج ولا الخلاص من نهاية محتومة ، فاقتربت من الانتحار . الرأسمالية الوسيطة تلخ قفازها الناعم وتظهر على حقيقتها بوصفها رأسمالية همجية . الشكل الطائفي يدمر نفسه في الصراع فيما تدمر الرأسمالية الوسيطة سلطتها التي تتساقط بحثا عن اعادة تركيبها . ومع